الـــــفـــــن

مقدمة:

تحيل كلمة فن مباشرة إلى الفنون الجميلة (الرسم، الغناء، الرقص، العزف، التمثيل...). كما تستعمل الكلمة كمرادف ل"تقنية" فالفن ينطوي على "تقنيات" او ممارسات عملية. ولهذا نسمع عبارت من قبل "الجانب الفني"، فنون الطبخ"، فنون الحرب والقتال"... ويرتبط الفن بالجمال، فالإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بحسه الفني ودوقه الجمالي. كما ان التاريخ الإنساني هو تاريخ التحف الفنية والجمالية.

لقد تعطل التفكير الفلسفي في ماهية الفن بسبب عاملين اتنين ساهما في عدم قيام فلسفة الفن:

1- الموقف الافلاطوني من الفنانين والشعراء.

2- الموقف الكانطي بخصوص تفوق الجمال الطبيعي على الجمال الفني.

لدلك كان يجب انتظار مجيء هيجل الذي تجاوز الطلاق الافلاطوني بين الفلسفة والفن إذ اصبح الفن معرفة حقيقية تتضمن رسالة او فكرة او مبدءا و غاية.

- فما هو العمل الفني؟ وما الذي يجعله فنيا؟
- ما علاقة الفن بالجمال؟ وما اساس الحكم الجمالي؟
- و هل للفن حقيقته وواقعه الخاص ؟ ام ان العمل الفني محاكاة للاشياء والاحاسيس والمواقف؟

http://netcour.online.fr

مـــاهـــيـــه الـــفـــن

يعتبر ميشيل هار ان التفكير في العمل الفني في داته والاشتغال على هدا الاتر من حيث هو كدلك، لم يبدا إلا مع هايدغر و ميرلوبونتي الدين اعلنا عن استقلالية الاعمال الفنية وضرورة عدم اختزالها في ما تمنحه من منفعة حسية، او الاكتفاء بالنظر إلى محتواه الفيزيائي، او مخزونها الثقافي.

إن هده المحاولة لم تبحث في الفن كموضوع للتفكير الميتافيزيقي المجرد، و لكنها تصورته بالاساس كنموذج للحقيقة الغامضة لوجود الإنسان وعلاقته بالعالم. وهدا ما يعني ان العمل الفني وحدة مستقلة للمعنى وللإحساس.

ينطلق هايدغر في تناوله لإشكالية العمل الفني و استبصاره لماهيته من حضور عنصر المادة داخله، فالاتر الفني هو قبل كل شيء مادة، تحمل و تنقل و تباع. يقول هايدغر: "إن الجانب الشيئي لصيق بالاتر الفني حتى إن الاتر الفني يضم فوق

جانبه الشيئي جانبا اخر ايضا. هذا الاخر القائم في الاثر هو ما يشكل جانبه الفني... في الاثر يتم تاليف الشيء المصنوع مع اخر..." إذن الاثر الفني شيء مصنوع وإضافة اخرى هي التمثيل او الرمز. وهذا ما يحددي ماهية العمل الفني.

غير ان هايدغر يمنح الشيء تعريفا خاصا. فما هو الشيء إذن ؟ لم يكتفي هايدغر في تعريفه للشيء بما قدمته المقاربات الميتافيزيقية عندما الحقت الشيء بالاثر دون ان تعرف ماهية هذا الشيء، ففي كتابه الدروب الموصدة يعتبر هذا الاخير ان معرفة اصل العمل الفني عملية صعبة و جد معقدة . إذ بغض النظر عن مكونات الاثر الفني التي هي اشياء يتساءل هايدغر عن من يسبق الاخر هل الاثر الفني ام الفنان ؟ فـــ"من خلال العمل نعرف العامل " يقول هايدغر في اصل العمل الفني، بل إن الاثر الفني وحده من يجعل الفنان فنانا . إلا ان هايدغر سرعان ما ينتهي إلى التاكيد على انـــه إذا كان اصل العمل الفني هو الفنان ، فإن اصل الفنان هو الاثر الفني نفسه.

بعد ان يؤكد هايدغر على تعقد الظاهرة الفنية و حضور الجانب الشيئي فيه ؟ يعود هايدغر إلى التعريف بماهية الشيء؟

يقول هايدغر " الحجر المرمي على الطريق شيء القدر او الكاس هي اشياء كدلك ؟ و عندما نضع ماءا او حليبا في هده الانية، تصبح بدورها اشياء.". من هدا المثال يستنتج انه بإمكاننا ان ننعت السحب في السماء بالشيء و القمح في الحقل بنفس الاسم، و حتى الاوراق المتساقطة على الارض ايام الخريف يمكن ان تعتبر اشياء. إن الشيء هو ما يلزم وجودا ما. لدا نقول إن العمل الفني شيءَ لانه موجود. إن الشيء عند هايدغر هو كل ما يدل على الوجود و الحياة، إن الشيء يمكن ان يكون كل شيء غير العدم والإنسان، و لا يمكن ان نصف إنسانا بالشيء، فنحن غالبا ما نتردد في قول الله شيء متلما نتردد في وصف الفلاح في حقله، و المعلم في مدرسته بالشيء.إن ما ننعته بالشيء هو كل الاشياء الموجودة في الطبيعة و التي نستعملها في حياتنا اليومية. او نصادفها كل يوم امامنا على صفحات الوجود.

هل يمكن ان نتفق مع هايدغر في كون العمل الفني ليس شيئا اخر غير الاشياء التي يتكون منها؟

يرى، تلميذ هايدغر، هانز جورج غادمير ان "العمل الفني يمكن تعريفه بدقة على اساس عدم كونه شيئا قد تم إنتاجه الان ويمكن إعادة إنتاجه مرارا وتكرارا". إن ما يميز العمل الفني هو الفرادة وعدم القابلية للتكرار. لدلك فالفن إبداع اصيل وفريد من نوعه وليس عملا. إن الفن يتميز بالخصائص التالية حسب غاديمير:

- التجاوز: تجاوز العمليات العملية التي انشاته.
- التكيف: إنه إبداع متكيف بذاته.
- اسلوب فهمه: يفرض نفسه باع_تباره تجليا خالصا يفهم في ذاته.

الحكم الجمالي

من اين يستمد الشيء الجميل قيمته؟

للإجابة على هذا التساؤل ينبغي العودة إلى الفلسفة الكانطية.

http://netcour.online.fr

يمثل كتاب كانط "نقد الحكم الجمالي" دعامة قوية في بناء علم الجمال. وفي مستهله يقرر كانط انه ليس من الممكن وضع قاعدة بموجبها يستطيع الإنسان ان يتعرف على جمال شيء ما، ولهذا فإن الحكم على الجمال حكم ذاتي، وهو يتغير من شخص إلى اخر ولهذا فإنه يختلف عن الحكم المنطقي القائم على التصورات العقلية. ومن هنا فالحكم ا لمتعلق بالذوق لا يمكن ان يدعي الموضوعية ولا الكلية. ورغم ذلك ، فمن الممكن ان تتصف احكام الذوق بصفة الكلية (الكوني) لان الشروط الذاتية لملكة الحكم واحدة عند كل الناس. لهذا عرف كانط الجمال بـــانه "قانون بدون قانون". وفي معرض حديثه عن الفن يقول كانط :"إن الفن ليس تمثيلا لشيء جميل بقدر ما هو تمثيل جميل لشيء ما".

وقد جادل كانط قائلا: "إن حكم الجمال او الذوق ينبغي ان يكون شيئا عاما وصادقا بالضرورة بالنسبة لكل البشر، لان الاساس الخاص به لابد ان يكون متطابقا لدى جميع البشر". لكنه اشار ايضا إلى ان المعرفة هي فقط القابلة للتوصيل، ومن ثم فإن الشيء الوحيد او الجانب الوحيد في التجربة الذي يمكن ان نفترض انه مشترك او عام بين جميع البشر، هو الشكل، وليس الإحساسات بالتمثيلات العقلية. بالإضافة إلى دلك، نظر كانط إلى "الجميل" على انه رمز للخير، كما انه تصور النشاط الجمالي باعتباره نوعا من اللعب الحر للخيال. وتعد المتعة الخاصة بالجميل والجليل متعة خاصة بالملكات المعرفية الخاصة بالخيال والحكم، عندما تتحرر من خضوعهما للعقل والفهم، اي تتحرر من قيود الخطاب المنطقي. إن الحكم التاملي لا يستمد - كما اشار كانط - من الخارج، لانه حينئذ سيكون حكما محددا او معينا او حتميا او طبيعيا، إنه ينتمي اكثر إلى مملكة الذات والوجدان والشعور، واليهما ينتمي كدلك الحكم الجمالي.

والفن الجميل في راي كانط هو فن العبقرية، والعبقرية هي موهبة (او هبة طبيعية) تمنح القاعدة (او القانون) للفن. والموهبة ملكة فطرية خاصة بالفنان وتنتمي بداتها إلى الطبيعة. ومن تم فإن العبقرية هي استعداد عقلي فطري تقوم من خلالها الطبيعة بإعطاء القاعدة او القانون للفن. ويقول كانط: "إن الجمال الطبيعي شيء جميل، في حين ان الجمال الفني تصوير جميل لشيء ما". والذوق في رايه ليس ملكة خلق او إبداع، بل هو ملكة حكم فقط، وان ما يلائم الذوق لا يكون بالضرورة "عملا فنيا"، وإنما قد يكون مجرد اثر صناعي، او نتاج نفعي او عمل الي ميكانيكي صرف.

http://netcours.online.fr

ويخلص كانط إلى ضرورة اتحاد الذوق والعبقرية في العمل الفني، مادام من الضروري ان يتوافر كل من "الحكم والمخيلة" في الفن. فالفنان العبقري يحتاج إلى ملكات اربع هي: المخيلة والفهم والروح والذوق.

في مقابل الطرح الكانطي، ينتصب كريستيان دولكمبان للدفاع عن اطروحة مختلفة مفادها ان العمل الفني يستمد قيمته من قدرته على توجيه التفكير الإنساني نحو شيء معين. يقول: " إن الاهمية الحقيقية للعمل الفني لا تقاس بقيمته التجارية، ولا بعدد الاقمصة او البطاقق البريدية التي تشهر، بل تقاس بقدرته على جعلنا نفكر في شيء معين، ما كان بإمكاننا ان ندركه لولا هذا العمل الفني".

الـــفـــن والـــواقـــع

هل يمتل الفن إعادة إنتاج للواقع ام تجاوزا لهذا الواقع؟

يرى افلاطون ان الفن استنساخ للواقع ومحاكاة له. ومن هذا المنطلق فإن قيمته مبتذلة، لانه ليس إلا تقليدا لعالم هو في حد ذاته مستنسخ. بمعنى اخر: إذا كانت المحسوسات صورا مزيفة لعالم للمثل، فإن العمل الفني تقليد لما هو مقلد اصلا. وبما

ان الحقيقة السامية والمطلقة لا تتاح إلا بالارتباط بعالم المثل، فإن العمل الفني يبعد الناس عن الحقيقة. لقد كان افلاطون يتصور ان ما يحط من قدر الفن، ويقلل من قيمة العمل الشعري، هو كونه يعتمد المحاكاة، مما يبعده كل البعد عن الحقيقة. يقول افلاطون : "فإذا ما نزعت عن الشعر قالبه الشعري، فلا شك انك تستطيع ان تراه على حقيقته، عندما يتحول إلى نثر". لهذا السبب طرد افلاطون مكانا للفنانين والشعراء في مدينته. كان افلاطون يستخدم فكرة المحاكاة كاداة، غير دقيقة، لنقد الفن وهدم اسسه، من وجهة نظر فلسفية مثالية، تتغنى بالجمال وبالجميل، ظاهريا، وتستبعده بكيفية نـــهائية من الحياة الواقعية للناس، وليس كمبدا لتفسير ظاهرة الفن وإظهار طبيعة العمل الشعري والفني .

اما ارسطو، فينطلق في تحليله ودراسته للظاهرة الشعرية والفنية، من التاكيد على ان الفعالية الشعرية والفنية، لدى المبدعين عموما، تتعلق اساسا بالمحاكاة، وتختلف الاعمال والمبدعات الفنية والشعرية، بعد ذلك، تبعا للانحاء التي تكون بـــها المحاكاة، وهي إما ترجع إلى الوسائل او الموضوعات او الاسلوب والشكل الفني. والمحاكاة في استعمال ارسطو، هي بالإضافة إلى كونـــها مبدا سببيا للشعر والفن، فهي ايضا، وقبل دلك، مبدا غريزي في الإنسان، يرتبط به تهيؤ الإنسان لتقبل المعارف الاولية، كما يرتبط به الشعور باللذة الناجمة عن حصول المعرفة والتعلم لدى الإنسان. إن مفهوم ارسطو للمحاكاة، لا يقف عند مجرد كونه اداة خارجية لمقاربة العمل الفني ونقد فعالية الإبداع الشعري والحكم عليها، انطلاقا مما هو بعيد عنها، كما فعل افلاطون بالضبط، بل لقد اصبحت المحاكاة، هنا، مع ارسطو هي جوهر العمل الشعري والفني، الذي يتوقف على فهمها وتحديدها، فهمنا وإدراكنا للفعالية الخالقة والمبدعة، بكل عناصرها ومكوناتـــها.

في المقابل يرى هيغل ان الفن يتجاوز المحاكاة ويرتفع بالكائنات الطبيعية والحسية إلى المستوى المتالي، ويكسبها طابعا كليا حين يخلصها من الجوانب العرضية والمؤقتة، فالفن يرد الواقعي إلى المتالية ويرتفع به إلى الروحانية، والفكرة إدا تشكلت تشكلا دالا على تصورها العقلي تتحول إلى متال.

اما حسب راي "شوبنهاور" فان كل ما يعرفه الإنسان يكمن داخل وعيه، هدا على الرغم مما قد يفترض من وجود ذات عارفة، وتوابت خالدة، خلف هدا التدفق للخبرة. فالتحليل البسيط يكشف لنا عن ان الدات هي لاشيء دون وعي، وان المادة لاشيء دون احداث يتلو بعضها بعضا خلال الزمن، وان ما يجعل هدين المفهومين (الدات والمادة) يكتسبان الحياة، ويصبحان مفعمين بالمعنى هو تلك القوة الكونية التي تبث الحياة فيهما، والتي يطلق عليها "شوبنهور" اسم "الإرادة"، إنها الشيء في داته، إنها ليست الذات القائمة بالإدراك، ولا المادة المدركة، لكنها الشيء الذي يتجلى كل من الدات والإرادة من خلاله. والجانب الجمالي في رايه "ظاهرة من ظواهر الذهن" تعتمد على الخصائص المميزة للفرد الذي يدركها، لكنها ظاهرة تكون لافتة في اكتمالها وتوافقها، والفن محرر او مطهر للعقل، فهو يسمو بنا إلى لحظة تعلو على قيود الرغبة، وتتجاوز حدود الإشباع. والرغبة والإشباع من الشروط الملازمة والمالوفة في الحياة العادية. فمن خلال الفن تجد الإرادة الإنسانية، التي لا تهدا ولا يقر لها قرار، حالة مؤقتة من الهدوء. يشير "شوبنهور" كذلك إلى ان المتلقي ينبغي له ان يصغي اولا إلى الحكمة العميقة التي تبوح له بها الاعمال الفنية، إنه ينبغي ان يستمع إلى حديث العمل الفني إليه، قبل ان يتحدث هو إليه. فالاستمتاع الجمالي إذن حالة مشاركة، او تعاون بين العمل الفني والمتلقي. هدا هو الشرط الاساسي لحدوث الاثر الجمالي، ومن ثم هو ايضا القانون الجوهري فيما يتعلق بالاستمتاع بكل الفنون الجميلة. افضل ما في الفنون. تلك الجوانب فائقة الروحانية فيها، وبحيث إنها تمنح نفسها للحواس على نحو مباشر، إنها يجب ان تولد او تحدث في خيال المتلقي، ورغم كونها تولد او تنتج اولا من خلال العمل الفن

http://netcours.online.fr

http://netcour.online.fr